

# المتنبي وأثره في بعض أعلام الأندلس

( ابن درّاج – ابن شهيد –  
ابن زيدون نموذجاً )

□ أ.د. علي دياب\*

## مدخل:

ولد أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي بالكوفة في محلة يقال لها كندة سنة ثلاث بعد المئة الثالثة للهجرة / ٩١٥م / وعرف بأبي الطيب المتنبي، قدم الشام في صباه، فأخذ عن أئمة العلم وكان من المطلعين على أوابد اللغة، حتى إنه لم يسأل عن شيء إلا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر.

لماذا سمي أبو الطيب بالمتنبي؟ قيل لأنه ادعى النبوة في بادية السماوة من أعمال الكوفة، فلما شاع أمره، خرج إليه أمير حمص نائب الإخشيد فأسره ولم يحلّ عقاله حتى استتابه، وبعد تخلية سبيله التحق بالأمير الحمداني سيف الدولة، وكان ذلك عام سبعة وثلاثين وثلاثمئة للهجرة / ٩٤٨م / فمدحه فأحبّه وقربه، وأجرى عليه كل سنة ثلاثة آلاف دينار خلا ما كان يخصصه له من إقطاعات وهدايا متفرقة .

❖ أستاذ الأدب الأندلسي في جامعة دمشق.

غادر حلب سنة ست وأربعين بعد المئة الثالثة للهجرة/٩٥٧م/ إثر مشادة حصلت بينه وبين ابن خالويه، مما دفع الأخير إلى ضربه فشججه، وخرج ودمه يسيل على ثيابه، فغضب وخرج إلى مصر فمدح كافوراً الإخشيدي وفي نفسه الكثير مما كان يؤمل أن يناله في مصر، ولما لم يحقق كافور للمتنبي ما أراد في مصر، غادرها وقال فيه قصائد هجائية عدة معروفة، ومن مصر ذهب إلى بغداد فبلاد فارس ثم عرج بأرجان، فشيراز ومدح عضد الدولة بن بويه فأجزل عطيته، وبعد انصرافه من عنده عائداً إلى بغداد فالكوفة، وذلك في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة/شباط ٩٦٥م/ تعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في الطريق، فاقتتلوا إلى أن قتل المتنبي مع ابن له اسمه محسد وغلّامه مفلح على مقربة من دير العاقول في الجانب الغربي من بغداد وقيل إن سبب قتل ابن أبي جهل له هو هجاء المتنبي لضبة بن يزيد العيني، وكانت والدته ضبة شقيقة فاتك بن أبي جهل، وقد نبّه أبو الطيب على ما قد يلحقه به فاتك من أذى إلا أنه أبى ولم يزد هذا التنبيه إلا أنفةً وعناداً، ولم يرض أن يصحبه أحد وقال: والله لا أرضى أن يتحدث الناس بأبني سرت في خفارة غير سيفي، وأعاد أبو النصر محمد الحلبي تحذيره مراراً مما يبيته له فاتك، فكان يجيبه معاذ الله أن أشغل فكري بهم لحظة عين! فقال له أبو النصر: قل: إن شاء الله فقال: هي كلمة مقولة، لا تدفع مقضياً ولا تستجلب آتياً، ثم ركب وسار وكانت النتيجة أن اعترضه فاتك في طريقه وقتله وكان ذلك في الثامن والعشرين من رمضان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة/٢٧ أيلول ٩٦٥<sup>(١)</sup>.

رغبنا من هذه التوطئة التاريخية الموجزة أن نضع القارئ بصورة أبي الطيب المتنبي هذه الشخصية العظيمة التي ملأت الدنيا وشغلت الناس برجاحة عقلها، وحدة ذكائها وبلغت شهرتها الآفاق، ولا يمكن أن تجد مهتماً أو غير مهتم، لم يسمع أو يحفظ لأبي الطيب المتنبي فهو القائل:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته      وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا  
ووضع الندى في موضع السيف "بالعلى"      مضرّ كوضع السيف في موضع الندى<sup>(٢)</sup>  
وكذلك قوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم      وتأتي على قدر الكرام المكارم  
وتعظم في عين الصغير صغارها      وتصغر في عين العظيم العظائم<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان المتنبي: ٥ - ٦ ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان م ١: ١٣٤ - ١٣٥

(٢) ديوان المتنبي: ٣٨٥

(٣) المصدر نفسه: ٣٧٢

وله أيضاً:

أذمّ إلى هذا الزمان أهيله      فأعلمهم فدم وأحزمهم وغد  
وأكرمهم كلب وأبصرهم عم      وأسهدهم فهد وأشجعهم قرد<sup>(٤)</sup>

### ابن دراج القسطلّي:

سنبداً حديثنا عن أثر المتنبي بالشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن دراج القسطلّي إذ يقول عنه الثعالبي في  
يتيمته:

"كان بصقع الأندلس كالمُتنبي بصقع الشام، وهو أحد الفحول. وكان يجيد ما ينظم ويقول. فمن ذلك  
قوله من قصيدة يمدح بها محمد بن أبي عامر"  
"من البسيط"

ما كفر نعماك من شأني فيثيني      عمن توالى لنصر الملك والدين  
ولا ثنائي وشكري بالوفاء بما      أوليتني دون بذل النفس يكفيني  
حق على النفس أن تبلى ولو فئت      في شكر أيسر ما أضحيت توليني  
ها إنها نعمة ما زال كوكبها      إليك في ظلمات الخطب يهديني<sup>(٥)</sup>

تقع هذه القصيدة في سبعة وعشرين بيتاً كما أوردها الثعالبي، واكتفينا بهذه الأبيات الأربعة، ومانود  
قوله هنا: إنّ ابن دراج عاش في حمى المنصور عيشةً هنيةً، وكان يصاحب المنصور في غزواته والدولة في  
أوج قوتها وعظمتها، وتذكرنا قصائده المدحية الطوال بقصائد المتنبي المدحية بسيف الدولة الذي يحمي ثغور  
الأرض العربية، والمتنبي يقف إلى جانبه مبهوراً ومعجباً بهذه الشخصية العظيمة، التي تقف وحدها في  
مواجهة العدو ومقارعة الخطوب، وإذا عدنا إلى شعر المتنبي يتبين لنا مدى التشابه بين شعر الشاعرين حتى  
في موقفهما من الحاسدين الذين أوغروا صدر الأميرين، فالمتنبي يمدح الحسين بن اسحق التنوخي وكان قومه  
قد هجوه، وأخبروا الحسين أن الهجاء لأبي الطيب، وبدوره كتب إلى المتنبي معاتباً فأجابه أبو الطيب:

(٤) المصدر نفسه: ١٩٨

(٥) التيممة - الثعالبي، ج ٢: ١٠٣

أتتكري يا بن اسحق إخائي      وتحسب ماء غيري من إنائي؟  
 أنطق فيك هجراً بعد علمي      بأنك خير من تحت السماء  
 وأكره من ذباب السيف طعماً      وأمضى في الأمور من القضاء  
 تطيع الحاسدين وأنت "مرء"      جعلت نداءه وهم فدائي  
 وهاجي نفسه من لم يميز      كلامي من كلامهم الهراء<sup>(٦)</sup>

وإننا نجد حال ابن دراج كحال المتنبي مع حاسديه ، فموقعه الجديد لدى المنصور دفع الحساد لاتهامه بالسرقة وانتحال أشعار غيره ، مما سرب الشك للمنصور فدعا الشاعر للامتحان وأن يصف طبقاً من التفاح ، أحيط بأزهار البهار فاستطاع ابن دراج أن يجتاز الامتحان وأن يحظى باعتراف الناس به شاعراً مبدعاً ، وأنشد المنصور قصيدة مدحية في المجلس نفسه يقول في أولها :

"حسبي رضاك من الدهر الذي عتبا      وعطف نعماك للحظ الذي انقلبا

ويشير في ذلك إلى محنة الاتهام الموجه إليه بالانتحال فيقول :

ودسّسوا لي في مثنى حبائلهم      شنعاء بت بها حرّان مكتئبا  
 من بعد ما أضرم الواشون جاحمة      كانت ضلوعي وأحشائي لها حطبا  
 وأشرفت شاهدات الحق تنشر لي      نوراً غدت فيه أقوال الوشاة هبا

إلى قوله :

ولست أول من أعيّت بدائعها      فاستدعت القول ممن ظنّ أو حسبا  
 إنّ امرأ القيس في بعضٍ لمتهم      وفي يديه لواء الشعر إن ركبا  
 وكيف أظما وبحري زاخر قطنا      إلى خيالٍ من الضحضاح قد نضبا<sup>(٧)</sup>

كان ابن دراج من الشعراء الأندلسيين الكثيرين ، وديوانه الضخم الذي تركه لنا يدل على أنه من أكثر شعراء العربية إنتاجاً ، وأطولهم نفساً ، ومعظم ديوانه من المطولات التي تحتاج إلى تأنٍ وصبر عميقين ، وكان موضوع المدح هو الغالب على قصائد ديوانه وحاول أن يجمع في شعره بين أسلوب أبي تمام والمتنبي فكان

(٦) ديوان المتنبي : ٧٩

(٧) ديوان ابن دراج : ٣٠٨ - ٣١٠

واضح التأثير بمنهجهما واعتمد في شعره على الكبر والمصابة والتأني والروية ، ونلاحظ أيضاً التشابه بين ابن دراج والمتنبي في قضية وصف الحرب ، إذ تهيأ لكل شاعر منهما ، أمير يغزو ويصد الغزوات التي تستهدف أرض العروبة والإسلام.

وتنقل ابن دراج في مدحه إلى أن استقره المطاف عند منذر بن يحيى صاحب سرقسطة الملقب بذي الرياستين وله فيه أكثر من ثلاثين قصيدة نذكر من واحدة منها :

ولتعلم الأملاك أني بعدها	ألفيت كل الصيد في جوف الفرا
كلاً وقد آنستُ من هودٍ هدى	ولقيت يعرباً في القبول وحميرا
والحارث الجفني ممنوع الحمى	بالخيل والآساد مبذول القرى
وأيت مجدك وهو يرفع منبراً	للدين والدنيا ويخفض منبرا
وخططتُ بين جفانها وجفونها	حرماً أبّت حرماته أن تُخفرا <sup>(٨)</sup>

قال أبو الحسن : أراه احتذى في هذه الأبيات حذو أبي الطيب في ابن العميد حيث يقول :

من مبلغ الأعراب أني بعدها	جالست رسطاليس والإسكندرا
ولقيت بطليوس دارس كتبه	متبدياً في ملكه متحضرّاً
ولقيت كل الفاضلين كأنما	ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً	وأتى "فذلك" إذ أيت مؤخرّاً <sup>(٩)</sup>

وعرف ابن دراج بمعارضته للمتنبّي في لاميته المشهورة التي يبدوها :

لك الله بالنصر العزيز كفيل	أجدّ مقام أم أجدّ رحيل <sup>(١٠)</sup>
وتقع هذه القصيدة في خمسة وخمسين بيتاً ، بينما تقع لامية المتنبي في ستة وستين بيتاً يبدوها :	
ليالي بعد الظّاعنين شكول	طوال وليل العاشقين طويل <sup>(١١)</sup>

(٨) الذخيرة ، ابن بسام : ق ١ ، م ١ : ٧٤ - ٧٥

(٩) المصدر نفسه

(١٠) يتيمة الدهر الثعالبي ج ٢ : ١١٠ ، ديوان ابن دراج : ٣٠

(١١) ديوان المتنبي : ٣٥٥

إن قراءة متأنية للامية ابن دراج تُبين لنا تأثيره الواضح في المتنبي وبالتالي تلك القواسم المشتركة بينهما، التي تؤكد معارضته للمتنبي، وهذا القاسم يتجلى في أن كليهما أحب أميره وأخلص له فالمتنبي صحب سيف الدولة أكثر من ثماني سنوات، يصف حروبه ويتوقف عند فروسيته العربية معبراً عن إعجابه أيما إعجاب بهذه الفروسية، وهذا ما نلاحظه أيضاً لدى ابن دراج في صحبته لأبي عامر نحو عشر سنوات في غزواته المتعددة وما كان يمثله من قوة وفروسية عربية في تلك الأصقاع في مواجهة أعدائه، فيقول المقرئ عنه في نفحه:

"ومن مناقبه التي لم تتفق لغيره من الملوك في غالب الظن، أن أكثر جنده من سببه على ما حققه بعض المؤرخين، وذلك غاية المنح من الله والمن."

ومن أخباره الدالة على إقبال أمره وخيبة عدوه وإدباره، أنه ماعاد قط من غزوة إلا استعدّ لأخرى، ولم تهزم له قط راية مع كثرة غزواته شاتية وصائفة وكفاه ذاك فخراً<sup>(١٢)</sup>.

ويبدو لنا أن ميدان الحرب كان هو المجال الذي أظهر تأثر ابن دراج بأبي الطيب ومعارضته في لاميته بالإضافة إلى أن موضوع القصيدة كان مدحياً لدى الشاعرين، وما تميز به هذا المدح من واقعية في تصوير معارك القائدين سيف الدولة وأبي عامر المنصور، وأن القصيدتين من بحر واحد ألا وهو بحر الطويل، والقافية واحدة أيضاً لام مضمومة، ومسبوقه بواو أو ياء، وتضمنت كل قصيدة ثلاثة أقسام: استهلال غزلي أو حماسي ومن ثم مدحي وبالتالي خاتمة وبدت معارضة ابن دراج في تأثره من حيث المبنى والمعنى وسنضرب مثالين فقط من قصيدتي الشاعرين للتدليل على ما ذكرنا، يقول ابن دراج:

جواد له من بهجة العز غرة	ومن شيم الفضل المبين حـجـول
ليزه به بحر كأن مدوده	نوافل من معروفه وفضول <sup>(١٣)</sup>
وفي ذلك إشارة إلى ما قال أبو الطيب المتنبي:	
فلما رأوه وحده قبل جيشه	دروا أن كل العالمين فضول
وأن رماح الخط عنه قصيرة	وأن حديد الهند عنه كليل
فأوردتهم صدر الحصان وسيفه	فتى بأسه مثل العطاء جزيل

(١٢) نفح الطيب، المقرئ م ١: ٥٩٦

(١٣) ديوان ابن دراج: ٦

جواد على العلات بالمال كله ولكنّه بالدارعين بخيل<sup>(١٤)</sup>

وهنا يتبين لنا معارضة ابن دراج للمتنبّي مبنى ومعنى فيما نجده في موضع آخر يعارضه في الشكل وليس في المضمون فيقول ابن دراج :

سحائب تزجها الرياح فإنّ وفّت أنافّت بأجساد النّعام فيول<sup>(١٥)</sup>

وهو من قول المتنبّي :

سحائب يطرّن الحديد عليهم فكل مكان بالسيف غسيل<sup>(١٦)</sup>

فهنا نجد أن الشاعرين استخدمتا السحائب من حيث المبنى إلا أن ابن دراج جعلها صفة للسفن بينما جاءت عند المتنبّي صفة للخيل، وبالمحصلة يمكننا القول : إن ابن دراج عارض المتنبّي ولكنه لم يكن بقوته في معانيه العميقة وإنما جراه في كثير من قصائده من حيث الشكل وبعضهم عده تلميذاً له في هذا الجانب، وبعض النقاد أخذ على ابن دراج تقييد نفسه بتقليد المتنبّي، ولو أنه أعفى نفسه من ذلك ولم يكن حريصاً على العناية بتقليد المشاركة من حيث الصنعة، فكانت ثمار شعره قد آتت أكلها وبالتالي اتسمت بكل قوة وحيوية.

ويتحدث بالنثيا عن ابن دراج أنه : "ممن أكثر في مدح المنصور، وكان كاتباً للحكم المستنصر والمنصور - وله مدائح ومراث طيبة، كتلك التي قالها في صبح البشكنسية - ثم توجه بعد ذلك إلى بلنسية وسرقسطة حيث تكونت حوله حلقة من الشعراء وأهل الأدب، وأبياته تنم على ملكة ذهنية فقيرة وتكلّف زائد، وتعقيد يشبه تعقيد جنجرة الشاعر الإسباني. وإيغال أولئك المحدثين وإسرافهم في تقليد القدماء، يفسر لنا إقبال الناس على الموشحات الشعبية التي يعد ظهورها رد فعل لهذا الشعر القديم المجدد<sup>(١٧)</sup> وربما يأخذ هنا الكاتب الإسباني بالنثيا تأثر ابن دراج بالمتنبّي وأبي تمام وغيرهم من المشاركة، وفي وصفه لإنتاجه بأنه ينم على ذهنية فقيرة ففي ذلك ظلم لابن دراج، وهو بذلك يخالف معظم النقاد الذي أدلوا بدلوهم في سوية شعر ابن دراج ولا نجد السيد بالنثيا منصفاً هنا فيما أصدره من حكم بهذا الصدد.

(١٤) ديوان المتنبّي : ٣٥٨

(١٥) ديوان ابن دراج : ٤

(١٦) ديوان المتنبّي : ٣٥٧

(١٧) تاريخ الفكر الأندلسي، بالنثيا : ٦٥ - ٦٦.

**ابن شهيد الأندلسي:**

أما فيما يتعلق بحضور أبي الطيب لدى ابن شهيد الأندلسي ففي رسالته التوابع والزوابع يقول على لسان تابعه زهير:

"ومن تريد بعد؟ قلت له خاتمة القوم صاحب أبي الطيب، فقال: اشد له حيازيمك، وعطر له نسيمك، وانثر عليه نجومك، وأمال عنان الأدهم إلى طريقه، فجعل يركض بنا، وزهير يتأمل آثار فرس لمخاها هناك. فقلت له: ما تتبعك لهذه الآثار؟ قال: هي آثار فرس حارثة بن المغلس صاحب أبي الطيب وهو صاحب قنص. فلم يزل يتقراها حتى دفعنا إلى فارس على فرس بيضاء كأنه قضيب على كتيب... فأنشده قصيدتي التي أولها:

أبرق بدا أم لمع أبيض قاصل

حتى انتهيت فيها إلى قولي:

تردد فيها البرق حتى حسبته      يشير إلى نجم الربى بالأنامل

- وأكمل قصيدته المؤلفة من أربعة وعشرين بيتاً.

فلما أنهيت قال: أنشدني أشد من هذا. فأنشده قصيدتي:

هاتيك دارهم فقف بمعانها      تجد الدموع تجد في همالاتها

فلما انتهيت، قال لزهير: إن امتد به طلق العمر، فلا بد أن ينفث بدرر وما أراه إلا سيحتضر، بين قريحة كالجمر، وهمّة تضع أخمصه على مفرق البدر. فقلت: هلا وضعته على صلعة النسر! فاستضحك إلي وقال: اذهب فقد أجزتلك بهذه النكتة. فقيلت على رأسه وانصرفنا<sup>(١٨)</sup>

وتكشف رسالة التوابع والزوابع عن سر ابن شهيد نفسه في مذهبه حين تقف به عند شاعر، محاولاً التفوق على مشاهيرهم، ماعدا المتنبي.

فهو يعارض عمر بن أبي ربيعة في رائيته، وطرفة في لاميته وقيس بن الخطيم في قصيدة حماسية له ومن ثم يعارض المحدثين كالبحثري وأبي نواس، إلا أنه كان يتهيب أن ينشد المتنبي.<sup>(١٩)</sup>

(١٨) رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد، ١١٣ - ١١٤

(١٩) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة، إحسان عباس: ٢٩٥



وظل معنى أبي الطيب المتنبي حين يقول :

أأطرح المجد عن كتفي وأطلبه  
والمشرفية ما زالت مشرفة  
وأترك الغيث في غمدي وأنتجع  
دواء كل كريم أو هي الوجع<sup>(٢٠)</sup>

وظل ابن شهيد يحاول مجارة المتنبي إلى أن قال :

تكلفتها والليل قد جاش بحره  
ومن تحت حضني أبيض ذو سفاسق  
وقد جعلت أمواجه تتكسر  
وفي الكف من عسالة الحطّ أسمر  
هما صاحباي من لدن كنت يافعا  
فذا جدول في الغمد تسقى به المنى  
مقيلان من جد الفتى حين يعثر  
وذا غصن في الكف يجني فيثمر<sup>(٢١)</sup>

ويظهر مما سبق أن المتنبي كان بالنسبة إلى ابن شهيد عملاقاً يأسره، وكان دائماً يسعى لأن يجاريه ويعمل على محاكاته، واستطاع ابن شهيد أن يؤدي ذلك، لأنه أقام شعره على الاندفاع والغضب، وأخذ عليه النقد أنه كان لديه شعور استعدادي أو أنه متفوق على كل الشعراء، وربما هذه ثقة بالنفس أكثر من اللزوم، إذ كان يعوزه التواضع في هذا المجال، وربما كان يشعر في كثير من الأحيان أنه بسوية المتنبي إن لم يكن متفوقاً عليه.

### ابن زيدون

يقول ابن بسام في ذخيرته :

"كان أبو الوليد صاحب منشور ومنظوم، وخاتمة شعراء مخزوم، أحد من جرّ الأيام جرّاً، وفات الأنام طراً، وصرف السلطان نفعا وضراً، ووضع البيان نظماً ونثراً، إلى أدب ليس للبحر تدفقه، ولا للبدر تألقه، وشعر ليس للسحر بيانه، ولا للنجوم الزهر اقتترانه، وحظ من النثر غريب المباني، شعري الألفاظ والمعاني"<sup>(٢٢)</sup>

(٢٠) ديوان المتنبي: ٣١١

(٢١) الذخيرة لابن بسام، ق ١، م ١: ٢٥٠

(٢٢) المصدر نفسه: ٣٣٦

لا نود هنا أن نتوقف عند ابن زيدون ونتحدث عما له في مجال الشعر والنظم وإنما أردت إيراد ما قاله أبو الحسن كمدخل للإشارة إلى حضور أبي الطيب عنده فنأخذ بيتاً من قصيدة وجهها من سجنه إلى ابن جهور شاكياً ومادحاً وتقع هذه القصيدة في ثلاثين بيتاً وهو:

ثوى صافناً في مربط الهون يشتكي      بتصهاله، وأنا له من أذى الشكل<sup>(٢٣)</sup>  
فهو كقول المتنبي:

وإن تكن محكمات الشكل تمنعي      ظهور جري فلي فيهن تصهال<sup>(٢٤)</sup>  
فاستخدم الشاعران هنا الشكل جمع شكال وهو حبل تشد به قوائم الدابة.  
وفي قصيدة أخرى لابن زيدون يمدح بها المعتضد بن عباد ويهنئه بعيد الأضحى وتقع في أربعة وثمانين بيتاً يقول:

وما ولعي بالراح إلا توهم<sup>٢٥</sup>      لظلم، به كالراح، لو يترشف<sup>(٢٥)</sup>  
فهو هنا يقلد قول المتنبي:

وما شرقي بالماء إلا تذكر<sup>٢٦</sup>      لماء به أهل الحبيب نزول<sup>(٢٦)</sup>  
ومما لابن زيدون أيضاً من شعر في ولادة مقطوعة تقع في أربعة أبيات يقول في آخر بيت فيها:  
ته أحتمل واستطل أصبر وعزّأهن<sup>٢٧</sup>      وول أقبل وقل أسمع ومُرْ أطلع<sup>(٢٧)</sup>  
فتراه يقلد أبا الطيب المتنبي في مقطوعة له أيضاً تقع في بيتين من الشعر قالهما عندما سئل بيتاً يتضمن أكثر ما يمكن من الحروف:

عشِ أبْقِ اسْمُ سُدَّ جُدُّ قَدْ مَرَّ أَنَّهُ اسْرُفُهُ تَسْلَ  
غَطِّ ارْمِ صَبِّ اغْزُ اسْبِ رُغْ زَعْ دِلِ اثْنِ نَلِ<sup>(٢٨)</sup>

(٢٣) ديوان ابن زيدون: ١٦١

(٢٤) ديوان المتنبي: ٤٨٦

(٢٥) ديوان ابن زيدون: ١٠٣

(٢٦) ديوان المتنبي: ٣٤١

(٢٧) ديوان ابن زيدون: ٦٨

(٢٨) ديوان المتنبي: ٣٤١

ولابن زيدون أيضاً قصيدة يهنئ فيها المعتضد بن عباد بهزيمة ابنه إسماعيل لابن الأفطس، نذكر منها:

سل الخائن المغترّ كيف احتقابه مع الدهر عاراً بالفرار مخلداً  
رأى أنه أضحى هزبراً مصمماً فلم يعد أن أمسى ظليماً مشرداً<sup>(٢٩)</sup>

وهذا منقول من قول أبي الطيب المتنبي:

فأتيت معترماً ولا أسدٌ ومضيت منهزماً ولا وعل<sup>(٣٠)</sup>

ولا يخفى على أحد ما وقع بين ابن زيدون وابن عبدوس بسبب ولادة وتلك الرسالة التي وجهها ابن زيدون على لسان ولادة لمنافسه في حبها كان دأبه السخر منه، وإظهار مقدرته اللغوية وسعة ثقافته الأدبية والفلسفية والتاريخية، مستخدماً كل ما أوتي من فهم وخبرة في هذه الحياة لينال من هذه الشخصية، وقد بلغ ابن زيدون في هذه الرسالة في الخط من قدر ابن عبدوس بما لا يتناسب ومستواه الاجتماعي والسياسي، مما أغضب ولادة منه ودفعها لقطع علاقتها به وإلى الأبد. وشاهدنا هنا أن ابن زيدون إذ أورد في رسالته هذه مايلي:

"وإنك راسلتني مستهدياً من صلتي ما صفرت منه أيدي أمثالك، متصدياً من خلتي لما قرعت دونه أنوف أشكالك، مرسلأ خليلتك مرتادة، مستعملاً عشيقتك قوادة، كاذباً نفسك أنك ستنزول عنها إليّ، وتخلف بعدها عليّ:

ولست بأول ذي همة دعت له ليس بالنائل<sup>(٣١)</sup>

فهذا البيت الشعري أخذه من أبي الطيب، إذ ورد في قصيدة له تقع في اثنين وخمسين بيتاً قالها مادحاً للأمير ويبدوها:

إلام طماعيئة العاذل ولا أرى في الحسب للعاقل

إلى قوله:

ولست بأول ذي همة دعت له ليس بالنائل<sup>(٣٢)</sup>

(٢٩) الذخيرة لابن بسام: ق ١، م ١: ٣٨٦

(٣٠) المصدر نفسه.

(٣١) في الأدب الأندلسي ٢، جودت الركابي: ٢٥٢

(٣٢) ديوان المتنبي: ٢٦٩ - ٢٧٢

ومما يقوله ابن زيدون في ولادة أيضاً :

سأحب أعدائي لأنك منهم      يا من يصح بمقلتيه ويسقمُ  
يا من تآلف ليله ونهاره      فالحسن بينهما مضيء مظلم<sup>(٣٣)</sup>

فالبيت الثاني مقتضب من بيت لأبي الطيب المتنبي بدأ به قصيدة مؤلفة من واحد وأربعين بيتاً قالها في رثاء أبي شجاع فاتك بمصر سنة خمسين وثلاثمائة وذلك بعد خروجه منها والبيت هو :

الحزن يقلق والتجمل يردع      والدمع بينهما عصي طيع<sup>(٣٤)</sup>  
ولا بن زيدون أيضاً قصيدة يمدح فيها أبا الحزم بن جهور ويبدوها بالبيت التالي :

هذا الصباح على سراك رقيقاً      فصلي بفرعك ليلك الغريباً<sup>(٣٥)</sup>

وهذه القصيدة تقع في اثنين وثلاثين بيتاً ، ويقول ابن بسام في ذخيرته : إن هذا البيت من قول أبي الطيب المتنبي :

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها      في ليلةٍ فأرت ليالي أربعاً<sup>(٣٦)</sup>

ويقول المستشرق الإسباني آنخل جنثالث بالنثيا في ابن زيدون والمتنبي :

" وربما كان ابن زيدون قد استوحى فنه من المتنبي الشاعر العربي الطائر الصيت ، فقد كان يقلده في أساليبه وأخيلته تقليداً وهو لهذا "شاعر من طبقة الفحول القدماء وطابعهم ، وكان شعره لهذا جديراً بأن يتخذ مثلاً يحتذيه من جاء بعده من الشعراء " كما يقول أوجست كور ، وقد ذهب إلى هذا الرأي كذلك أبو علي بن رشيح القيرواني ، ومحمد بن صارة الشنتريني وأحمد المقرئ<sup>(٣٧)</sup>

ويقول ابن بسام في ذخيرته مبدياً إعجابه بالمتنبي ومثنياً عليه :

" بل درُّ درُّ أبي الطيب من شاعر نطق بالبدي ، وجرى على عتق جده الكندي . فسبق واستولى على الأمد بقوله إذ صدق :

(٣٣) ديوان ابن زيدون : ٦٢

(٣٤) ديوان المتنبي : ٤٩١

(٣٥) ديوان ابن زيدون : ١٣٠

(٣٦) الذخيرة لابن بسام : ق ١ ، م ١ : ٣٨١

(٣٧) تاريخ الفكر الأندلسي ، بالنثيا : ٨٦

أتيت بمنطق العرب الأصيل      وكان بقدر ما أحسست قبلي  
فعارضه كلام كان منه      بمنزلة النساء من البعول  
وليس يصح في الإفهام شيء      إذا احتاج النهار إلى دليل<sup>(٣٨)</sup>

ويمكننا أن نختتم برأي أندلسي في المتنبي لابن بسام:

"وأما المتنبي: فقد شغلت به الألسن. وسهرت في أشعاره الأعين وكثر الناسخ لشعره، والآخذ لذكره، والغائص في بحره، والمفتش في قعره. عن جمانه ودره. وقد طال فيه الخلف. وكثر عنه الكشف. وله شيعه تغلو في مدحه. وعليه خوارج تتعايا في جرحه. والذي أقول: إن له حسنات وسيئات، وحسناته أكثر عدداً. وأقوى مدداً. وغرائب طائفة. وأمثاله سائرة، وعلمه فسيح. وميزه صحيح. يروم فيقدر. ويدري ما يورد ويصدر".<sup>(٣٩)</sup>

<sup>(٣٨)</sup> المصدر نفسه: ق ٤، م ١: ٢٠ - ٢١

<sup>(٣٩)</sup> الذخير لابن بسام: ق ٤، م ١: ٢١٠

## المصادر والمراجع

- (١) تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة ٢، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٩.
- (٢) تاريخ الفكر الأندلسي، أنخل جنثالث بالنثيا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٥.
- (٣) ديوان ابن دراج القسطلّي، تحقيق د. محمود مكّي، المكتب الإسلامي، ١٣٨٩.
- (٤) ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق كرم البستاني - دار صادر ١٩٧٥.
- (٥) ديوان المتنبي، دار صادر - بيروت، د.ث.
- (٦) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس - دار الثقافة، بيروت ١٩٧٩.
- (٧) رسالة التوابع والزوابع، ابن شهيد الأندلسي، تحقيق بطرس البستاني، دار صادر ١٩٨٠.
- (٨) العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطيّب للعلامة الشيخ ناصيف اليازجي در صادر، بيروت د.ت.
- (٩) في الأدب الأندلسي، جودت الركابي - دار المعارف - القاهرة ١٩٦٦.
- (١٠) المغرب في حلى المغرب، أبو محمد الحجاري وعبد الملك بن سعيد وأربعة آخرون، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، القاهرة ١٩٦٤.
- (١١) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان، تحقيق: د. يوسف ومريم طويل، دار الكتاب العلمية - بيروت، ١٩٩٨.
- (١٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور عبد الملك محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة.د.ت.

